تقرير كمبرلند عن قراءة الافكار

سئلنا مراراً عن قراءة الافكار وما يدعيهِ بعض المرتزقين بها فكنا نعرب عن رأينا في ذلك بانين حكمنا على ما قالهُ الذين خصوا بهذا النوع من الشعور وعلى ما سمعناهُ من اشهر رجل اشتهر بقراءة الافكار منذ اربعين سنة وهو المستر كمبرلند وما قرأناهُ لهُ وقد نشرنا خلاصتهُ في مقتطف يناير سنة ١٨٨٧ نقلاً عن مجلة القرن التاسع عشر الصادرة في دسمبر سنة ١٨٨٦

قال : كنتُ في صباي موصوفاً بالذكاء والزكانة ولكن لم تظهر استطاعتي على معرفة ضمائر الناس الاَّ منذ ست سنوات وذلك اني كنت في بيت الدكتور بكرستث اللاهوتي فدار الحديث على المسمرزم (التنويم) فسُئلت عمَّا اذا كان ممكناً للانسان ان يعرف افكار غيرهِ وعن رأيي في ذلك فقلت انهُ ممكن في بعض الاحوال وانا قادر عليهِ . فقال الدكتور هلمَّ نمتحن ذلك ثم اضمر في نفسهِ شيئاً وقال هات اخبرني بما اضمرتُ فاخذتهُ بيدهِ ومشيتُ امامهُ رويداً رويداً ودخلتُ بهِ المكتبة ودرتُ فيها ثم وقفتُ امام تمثال هناك وقلتُ هذا هو الشيء الذي كنتَ مفتكراً بهِ فكان كما قلت . ومن ثمَّ تقوَّت عزائمي وتجاسرت على امتحان هذه القوة التي فيَّ علانيةً

وكان المظنون اولاً انني لا اقدر ان اكتشف الشيء المضمر ما لم يكن في البيت الذي اكون فيهِ ولكن حدث مرةً انني كنت اتناول الطعام عند مركيز لورن (صهر ملكة الانكليز) فاضمر في نفسهِ شيئاً وطلب مني ان اكتشفهُ . فعصبت عينيَّ بعصابةٍ واخذتُ المركيز بيدهِ وخرجت بهِ مسرعاً من القاعة التي كنا فيها وكنتُ اسير بهِ إلى الابواب المقفلة فتفتح لنا وما زلت اسير امامهُ الى ان دخلنا الاسطبل في الدار الخارجية وكان مقفلاً فمددت يدي ووضعتها على شيء حي وقلتُ هناك ما اضمرتهُ فقال اصبتَ فنزعتُ العصابة عن عينيَّ فاذا انا واضع يدي على غزال لزوجتهِ ابنة ملكة الانكليز

ثم فعلتُ شيئاً مثل ذلك مع ولديَّ عهد الغسا وكان قد اضمر صورة كلب اسود كبير ولم يكن يعلم ان هو فاخذتهُ بيدهِ وانا معصَّب العينين وجعلنا نجول في جوانب القصر وساحتهِ ومشينا في اماكن لم تدُسها رجلهُ من قبل وما زلتُ اقودهُ بيدي الى ان وصلنا الى الكلب فاشرتُ اليهِ . ومن ثمَّ عرفت انني قادر ان اجد ما يخفيهِ

الانسان ولو اخفاهُ في الازقّة والشوارع واثبتُ ذلك بالامتحان فانهُ اجتمع منذ سنتين سفير اسبانيا والسر تشارلس تير والاستاذ رومانس وغيرهم من العظماء والعلماء واخق واحد منهم دبوساً في ساحة ترافلغار فقمتُ من عليّتي واخذتهُ بيدي وذهبت به حتى وجدت الدبوس حيث اخفاهُ

ومن قبيل ذلك ما حدث لي منذ سنة وثمانية اشهر في مدينة برلين وذلك اننا اشترينا بيضةً من بيض عيد الفصح وملأناها ذهباً واعطيناها لسفير اميركا ليخبئها في مكان يختارهُ على شرط ان لا يكون بعيداً عن المنزل الذي كنّا فيهِ اكثر من كيلو متر . فمضى السفير ومعهُ ثلاثة من اللجنة المعينة لفحص هذا الامر وهم الكونت ملتكي والدكتور لوشيوس والبرنس راتيبون واخفوا البيضة وبقيت انا في المنزل مع بقية اعضاء اللجنة ولما عادوا لم آخذ بيد السفير على جاري عادتي بل ربطت يدهُ اليسرى بسلك معدني وربطت السلك بيدي اليمنى وجريتُ امامهُ وانا اقودهُ وراءَ بالسلك الى ان بلغنا الاسطبل الذي فيهِ خيل الامبراطور فدخلتهُ ودنوتُ من صندوق فيهِ وهمستُ بفتحهِ فوجدتهُ مقفلاً فاخذت يد السفير بيدي ليزيد تأثيرهُ فيَّ ودنوتُ من البرنس راتيبون ووضعتُ يدي في جيبهِ واخرجتُ منهُ مفتاح الصندوق وفتحتهُ بهِ وكان فيهِ قمح فوجدت البيضة بين القمح واهديناها مع ما فيها الى زوجة وليّ عهد المانيا لتنفق على مدرسةٍ يعلّم فيها الاولاد العلم والصناعة

ولم انجح دائماً في كشف الخفيّات كما نجحتُ هذه النوبة لان كثيرين كانوا يخدعوني ولو عن غير قصد منهم فيخفون الشيء ولا يجسرون انكارهم عليهِ او يجسرونها على شيء آخر او على مكان آخر . مثال ذلك اني لقيتُ مرةً الجنرال اغناتيف الشهير في قصر الكونت شوفالوف في بطرسبرج فاتفق الكونت شوفالوف مع رجل من حاشية القصر على ان يفرضا انهما لصّان من قطّاع الطريق وان واحداً من الحضور رسول للملكة وانهما التقيا بهِ فسلبهُ احدهما وقتلهُ الآخر بخنجر ومسح الخنجر بالبساط وكنتُ انا خارج القاعة التي هم فيها فدخلتُ وامسكت احدهما بيدهِ فعرفت للحال الرجل الذي اختارهُ رسولاً ومثلتُ الاعمال التي مثّلها من سلب وقتل ومسح الخنجر بالبساط ولم اخطىء في شيء منها

ثم جاءت نوبة الجنرال اغناتيف وكان قد اخذ اوراقاً من الرسول واخفاها في القاعة وطلب مني ان اجدها فاخذتهُ بيدي وانا اكاد اعجز عن عشيرتهِ معي لفرط سمنهِ وبطء حركتهِ فدنوت من رفّ ووضعتُ كرسيًّا وصعدتُ عليهِ وكان على

الرف اتاه فارغ فوضعت يدي فيه ولما لم اجد شيئاً نزلت وطلبت من الجنرال ان يجمع افكارهُ على المكان الذي اخفى الاوراق فيه ففعل فدنوت من خزانة في آخر القاعة وفتحتها فوجدت الاوراق في زاوية منها. فالتفتُّ اليه احدى السيدات وقالت لهُ كيف تقول انك لم تفتكر به ألم تقصد اولاً ان تضع الاوراق فيه ثم قلت انهُ يجدها هنا بسهولة فوضعتها في الخزانة فتبسَّم وقال لها لله درّك ما اقوى ذاكرتك ثم ضحك واشار اليها باصبعه كأنهُ يوبخها مزحاً

وفي السادس عشر من حزيران (يونيو) سنة ١٨٨٤ جرت لي حادثة تُذكَر مع غلادستون الشهير. وذلك انهُ احضر عدداً ذا ثلاثة ارقام فعرفت الرقمين الاولين وهما ٣ و٦ ولم ينجلِ لي الرقم الثالث فطلبت منهُ ان يجمع افكارهُ عليه جيداً ففعلها فوجدت انهُ ٦ وان العدد كلهُ هو ٣٦٦ . فسألتهُ عن سبب تردده في الرقم الاخير وافتكاره اولاً بالرقم ٥ ثم بالرقم ٦ فدهش من سؤالي وقال كيف عرفت ذلك فقلت كيف يخفى عليَّ ذلك وانا قارىء الافكار فقال اصبتَ فاني افتكرت اولاً بالعدد ٣٦٥ عدد ايام السنة فلما حزرت الرقمين الاولين قلتُ في نفسي انك تحزر الرقم الثالث بالضرورة فاردت ان ابدلهُ برقم آخر ثم خطر لي ان هذه السنة كبيسة فابدلت الخمسة بالستة

وحدث لي ما يشبه ذلك مع امبراطور المانيا وذلك انني لما اتيت برلين امتحنني البرنس هنري باتنبرج والكونت هتزفلت سفير المانيا في لندن الآن وعرفت للكونت الارقام المكتوبة على ورقة من اوراق البنك وكان اكثرها اربعات فبلغ الامبراطور ذلك فاستدعاني اليه واحضر عدداً فاخذت قلماً وكتبت العدد ٦١ وكتبتُ تحته الرقم ٤ فقال الامبراطور عجباً فان هذا هو العدد الذي كنت مفتكراً فيه وهو سنة تتويجي (فانهُ توّج سنة ١٨٦١) . اما الرقم ٤ فالظاهر انهُ بقي في بالهِ من ورقة البنك التي بلغهُ اني عرفتُ عددها

وامبراطور المانيا من الرجال الذين يسهل عليَّ قراءة افكارهم لانهُ كلما عظُم الانسان سهل عليه حصر افكاره وسهل عليَّ معرفتها بالتدقيق مثال ذلك ان ولي عهد انكلترا دعاني مرة للطعام ثم طلب مني ان اعرف ما اضمرهُ فعصبت عينيَّ واخذتهُ بيساري واخذت قلماً بيميني ووضعوا امامي قرطاساً فرسمت عليه صورة فيل ابتر (مقطوع الذنب) الاَّ ان الرسم لم يكن متقناً ولا عجب فانا مصوِّر ولا مصوِّ

ولي العهد كذلك فاقرَّ انهُ كان مضمراً صورة الفيل الذي صادهُ في جزيرة سيلان لما كان في الهند واطلق الرصاص عليهِ فقطع ذنبهُ

ثم عرفتُ انني قادر ان اعرف الكلمات التي يضمرها الغير واكتبها على القرطاس ولو كانت بلغة لا اعلمها وذلك انني اثبت مصر القاهرة في السنة الماضية فدعاني سموُّ الجناب الخديوي الى قصرهِ في عابدين واخبرني انهُ سمع بقراءتي للافكار واطَّلع على كل ما اجريتهُ من هذا القبيل . وقبل ان انصرفت من لدنهُ اضمر كلمة عربية فكتبتها على القرطاس بالحروف العربية فاذا هي « عبَّاس » اسم بكرهِ وولي عهدهِ ولم اكن اعرف حرفاً من حروف هذه اللغة (وممَّا بلغنا ان الدكتور شوينفرث افكر حينئذٍ بنبات اكتشفهُ جديداً في افريقية فصوَّرهُ كبرلند كما كان شوينفورث متصوِّراً اياهُ في ذهنهِ)

وبعد ذلك باربعة اشهر قابلت احمد عرابي في منفاهُ فطلب مني ان اقرأ افكارهُ فقلت لهُ ان يضمر كلمةً وانا اكتبها لهُ فاضمر كلمة انكليزية ليوهمني انهُ درس هذه اللغة فحاولت كتابتها فلم تكن الكتابة مقروءة فقلتُ لهُ ان يتصوَّر الكلمة بالحروف العربية لا بالحروف الافرنجية ففعل فكتبتها لهُ فاندهش من ذلك ثم قلتُ لهُ ان يكتبها بالحروف الافرنجية فلم يعرف كيف يكتبها ولهذا لم اقدر ان اكتبها لهُ لان صورتها لم تكن في ذهنهِ

وقابلتُ مهرجا كشمير وكتبتُ لهُ كلمة اضمرها بقلم الدغرا الذي لا يعرفهُ عشرة من اهالي كلكتا فاندهش غاية الاندهاش وطلب مني ان اقيم عندهُ لاستكشف لهُ بواطن وزرائهِ . والظاهر انهُ لم يكن يثق بهم

وخاف مني امراء الهند وظن بعضهم ان لي قوة الهيَّة لكشف السرائر واجتلاء الضمائر فكانوا يتعبدون عني ما امكنهم

ومن رأيي انهُ يمكن استخدام هذه القوة لكشف الجرائم كما اذا قُتل انسان بخنجر ووُجد الخنجر عند انسان آخر فوقعت الشبهة عليهِ ولكن القضاء لم يثبتها فيمكن لقارىء الافكار حينئذٍ ان يعرف هل استعمل هذا الرجل الخنجر او لم يستعملهُ لا سيَّما وان اكثر القتلة ومرتكبي الجرائم من الذين لا يقدرون ان يملكوا انفسهم فيستدلُّ قارىء الافكار على ما يخامر افكارهم بسهولة .وقد حدث لي شيء من ذلك في مدينة ورسو قصبة بولندا فاني كنت عند الجنرال كوركو فبلغني ان واحداً من وجهاء المدينة اخفى صندوقاً فيهِ دنانير كثيرة في الارض ايام

الثورة البولندية الاخيرة ثم نسي المكان الذي اخفاهُ فيهِ ومنذ مدة كان اثنان من العمال يحفران في تلك الارض فعثرا على الصندوق واخذا شيئاً من الدنانير وصرفاهُ في المدينة فعُلِم الامر وأُلقي القبض عليهما ولكنهما اخفيا الصندوق وانكرا كلَّ ما رأيا ولم يجد القضاة سبيلاً لتقريرهما . فطلب مني ان اساعد القضاة في ذلك فحضرتُ الى السجن مع قنصل الانكليز وقاضي التحقيق وصاحب المال ورجل آخر فاعطيت المتهمين بعض النقود وقلت لهما ان يخفياها حيثما ارادا فاجدها حالاً . وكذلك اجد الدنانير المسروقة وخرجت من السجن . ولما اخفياها دخلت السجن وامسكت واحداً منهما بيدهِ وحاولت ان اسير بهِ الى المكان الذي اخفيا النقود فيهِ فلم يطاوعني فتركتهُ وامسكت بيد الثاني فسار معي بدون معارضة وما زلت سائراً حتى بلغت موقداً في الحائط ففتحت بابهُ وبحثت بين الرماد فوجدت النقود فوقف الرجل مبهوتاً واقرَّ في الحال انهما وجدا صندوق الدنانير

وحدث لي مع الجنرال كوركو هذا (وهو المشهور في واقعة مضيق شبكا في الحرب بين الدولة العليَّة والروسيَّة) حادثة تستحق الذكر وهي ان هذا الجنرال قابلني في قصر ملوك بولندا ثم قال لي انهُ اضمر صورة واقعة من وقائع الحرب وطلب اليَّ ان اكشفها لهُ فقلت لهُ ان يصور الصورة في ذهنهِ ويجمع افكارهُ عليها ثم امسكت بيدهِ وانا مغمض العينين وخرجت بهِ من القاعة الصفراء الى القاعة الحمراء وتوقفنا هناك قليلاً ثم خرجنا الى الدهليز وسرنا فيهِ بالتمهُّل لانهُ كان مضمراً عقبةً في بالهِ ولما بلغنا نهاية الدهليز دورت الى اليمين بسرعة فوجدت نفسي في القاعة الزرقاء فهجمت بالجنرال على تلك القاعة وعثرت في طريقي برجلين فوقعا على الارض فبلغت مقعداً كبيراً محوطاً بالازهار فنصبت عليهِ منديلاً ورمزاً عن العَلَم الروسي . فشهد الجنرال انني اصبت اتمَّ الاصابة . ومنعت الحكومة نشر هذا في الجرائد المحلية لمثلاً يعتقد الروسيون ان فيَّ قوة خارقة الطبيعة

ولطالما سُئلت ايُّ الرجال يسهل عليَّ قراءة افكارهِ وايُّهم يصعب عليَّ فاجيب انني وجدت المرشال ملكي اشدهم حصراً لافكارهِ فهو اسهلهم عليَّ والمسيو دوماس اقلهم حصراً لافكارهِ فهو اصعبهم عليَّ واذا اعتبرت جميع الذين امتحنت فيهم تولي فرجال السياسة وعلماء الرياضيات ورجال الانشاء اسهلهم ولا استثني الاَّ المكونت اندرامي . ورجال الحرب وجدت فيهم اناساً كثيرين لا تعسر قراءة افكارهم كالجنرال كوركو المذكور آنفاً وكذا القضاة اما الموسيقيون الماهرون فاذا افتكروا

في غير صناعتهم فقراءة افكارهم ضرب من المحال واما اذا افتكروا في صناعتهم اي في لحن من الالحان فقراءة افكارهم سهلة . والمصورون اسهل مراساً من الموسيقيين والاطباء تسهل معرفة افكارهم في تشخيص الامراض وتعسر في ما سوى ذلك . والامم المرتقية في الحضارة تكون قراءة افكار رجالها اسهل من قراءة افكار غيرهم وقراءة افكار الرجال اسهل من قراءة افكار النساء لانهنّ لا يقدرن على جمع افكارهنّ

وفي كل تجاربي كنت اغمض عينيّ لكي لا ارى شيئاً ولا ادع نظري يشوّش افكاري وأضع يد الذي اقرأ افكارهُ على جبيني او امسكها بيدي لكي اشعر به باللمس فان لم اشعر به باللمس وهذا نادر استدللت على افكاره من سحنته . وفي كل حال لا ترتسم في ذهني صورة الشيء المرتسم في ذهنه بل اشعر باللمس انهُ يتحرّك حركات خفيّة تدلني على الشيء الذي اضمرهُ وهذه الحركات تحصل عن غير قصد منهُ حينما يكون حاصراً افكارهُ فيما يضمرهُ . ومذهبي ان قراءة الافكار هي قوة اللمس عينها ولكن هذه القوة هي فيّ اشدُّ مما في غيري فاذا لمست انساناً شعرت بمجرد قوة اللمس بالجهة التي يفتكر بها وبالشيء الذي اجتمعت افكارهُ عليه وبالطريق الذي يجب ان اسير فيه للبلوغ الى ذلك الشيء . وهذه القوة ليست خاصة بي بل هي موجودة في الوف من الناس وتتفاوت فيهم في الشدة والضعف . ولكن قلة اعتبارهم لا يعرفون ان هذه القوة فيهم وكثيرون من العشر الباقي لا يهتمون بتمرينها وتقويتها

وقد بحثت لعلي اجد اثراً لقراءة الافكار في كتب الهنود القديمة فلم اجد الاّ واحداً من الهنود قال لي ذكر في تقاليدنا انهُ كان في قديم الزمان اناس بارعون في قراءة الافكار فرقوا الى درجة تحت درجة الآلهة فاغاظ الآلهة منهم وابتلعوهم . واخبر في احد الباحثين في الآثار المصرية انهُ يستنتج ان كهنة المصريين القدماء كانوا يعرفون قراءة الافكار ويستعملون الطريقة التي استعملتها انا . وهذا غير بعيد ولا يبعد ايضاً ان كهنة المصريين ومجوس الفرس كانوا ابرع مني في قراءة الافكار انتهى

ولا يخفى ان الناس يتفاوتون تفاوتاً كبيراً في امور كثيرة فمنهم من ينظم الشعر عفواً ومنهم من لا يستطيع نظمهُ مهما اجتهد . ومنهم من يتعلم لغات كثيرة بسهولة في بضع سنوات ومنهم من لا يتعلم لغة واحدة مع لغته الاّ بشق النفس فلا يبعد ان يكونوا متفاوتين كذلك في درجة الشعور وقد يحتمل ان تؤثر العقول بعضها ببعض على اسلوب آخر غير اللمس كما اوضحناهُ في مقالة نشرت في مقتطف دسمبر سنة ١٨٨٥